مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، وأستفتح بالذي هو خير: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

اما بعد.. فالأئمة الأربعة هم أئمة الفقهاء الأعلام، وهم أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة التي شرقت وغربت، واشتهرت بين الناس في الماضي والحاضر، وإنما بلغ هؤلاء الأئمة ما بلغوا من منزلة ومكانة بما بذلوه من جهود عظيمة في

خدمة الشريعة الغراء والفقه الإسلامي، وبما خلفوه هم وأمثالهم من تراث فقهي ضخم، سيظل مفخرة كبرى للإسلام والمسلمين، وإن حياتهم العلمية وحياتهم الخاصة قد امتلأت بميراث ضخم من التراث والمواقف والقصص التي تعبر عن حياتهم بشتى جوانبها: علمية وفقهية ودينية واجتماعية، وتكشف عن مذهب كل منهم، ولما كانت هذه الجوانب من الأهمية بمكان لتبصير الأمة بجوانب خفية من حياة هؤلاء الأئمة فقد آليت على نفسي أن أقوم بجمع عدد من المواقف والقصص والصور من حياة الأئمة في كتاب يرضي شغاف العقول ممن يتطلعون إلى معرفة الكثير من هذه النواحي والتي لا يُعرف عنها إلا القليل.

وقد جمعت في كثير من صفحات الكتاب أقوال وأفعال صدرت عن الأئمة صارت بمثابة حِكَم وأمثال تناقلتها الأجيال، ولكي تتم الفائدة من الكتاب فقد أثبت بعض الزيادات التي وردت في بعض الروايات المتشابهة، وقد ابتعدت في جمعي لمادة هذا الكتاب عن كل ما فيه مغالاة مما يرفع القدر أو يحط به مما ورد في كتب الطبقات والتراجم، ففي بعض الأحيان تصل المغالاة إلى درجة الافتراء والكذب، فنجد أن الأحناف مثلاً بلغ بهم التمجيد في شخص أبي حنيفة إلى أن يقولوا: أن النبي ﷺ قد قال: «إن في أمتي رجلاً يقال له أبو حنيفة هو سراج الأمة»، وقد ذكر الإمام النووي أن هذا الحديث موضوع، وقد وصل القدح في بعض الأئمة إلى درجة إلصاق تهمة الزندقة بنظرائهم للتنقيص من حق الآخرين، ولحرصي الشديد على أن تتم الفائدة من هذا العمل فقد جاء في هيئة صور من حياة الأئمة الأربعة.

وقبل أن أترككم مع مادة هذا العمل أسألكم صالح الدعاء لي بغفران الذنوب وأن يتقبل الله تعالى هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم العرض عليه . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه

رجب محمود إبراهيم بخيت